

المحددات الجماعية والفردية للهجرة إلى ضاحية مدينة مراكش

Collective and individual determinants of migration to the suburbs of Marrakesh

د. للاخديجة الحمداني⁽¹⁾

ملخص

عرفت ضاحية مدينة مراكش في العشرين سنة الأخيرة تغيرات في بنيتها العقارية، تحولت إثرها العديد من أراضي الجيش إلى ملك خاص بشكل استثنائي، من أجل إحداث العديد من المشاريع السكنية والسياحية بها، فأصبحت المنطقة مجالا لاستقطاب العديد من المهاجرين الوافدين عليها، سواء من داخل مدينة مراكش، التي تعرف ارتفاعا في نسبة النمو الديمغرافي بها، أو من القرى المجاورة لها، نظرا لما توفره هذه الضاحية من فرص للشغل، فتدخل عامل القرب المجالي للمنطقة من المدينة، بشكل كبير في اختيار المهاجرين للسكن بها، وشكل العامل الاقتصادي سببا أساسيا دفع أرباب الأسر إلى الهجرة إلى المنطقة، خصوصا مع تراجع العمل الفلاحي في الدواوير المجاورة، كما أن المنطقة حققت للمهاجرين إليها الرغبة في الحصول على مسكن بملكية خاصة، أو بئمن كراء مناسب. جميعها ظروف ومحددات للهجرة بالمنطقة، نتجت في الأصل عن التغيرات العميقة التي عرفتها البنية العقارية بها.

الكلمات المفتاحية: -الهجرة- محدّدات الهجرة- البنية العقارية- ضاحية مدينة مراكش.

Summary

In the last twenty years, the suburbs of marrakesh have witnessed some changes in its real estate structure, which has transformed exceptionally the lands of guish into private property, in order to create numerous housing and touristic projects. As a result, the region became a domain attracting a lot of immigrants, not only from inside the city of Marrakech it self, which has seen a demographic growth but also, from the nearby villages since the suburbs offer numerous job opportunities. Besides this, the economic factor was important in pushing families to go and settle there, especially because of the decrease of agricultural activities in the surrounding douars. Not to forget that the suburbs has made it easier for the immigrants to

⁽¹⁾ باحثة في علم الاجتماع، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس

acquire a private house as property or for renting with a convenient price. These are the conditions and the criteria that led to this immigration which was originally the result of deep transformations in the real estate structure in it.

Key words: Migration -determinants of migration –Real estate structure –Suburbs of Marrakesh.

تقديم

لطالما عرف المغرب إلى حدود فترة ما قبل الحماية حراكا مجاليا للسكان، غير أن هذا الحراك ظل محدودا على المستوى الكمي، فكان عبارة عن: "هجرة تقليدية، تتسم بالضعف الكمي الشديد، ومحدودية المجال الجغرافي الذي تتم فيه. وسواء تعلق الأمر بالهجرات الفردية الضعيفة من قبيلة لأخرى أو من مدينة لأخرى، أو بالهجرات الجماعية للقبائل، فإن هذا النوع من الحراك لم يكن يؤثر على البنيات الاجتماعية، ولا على النظام الاقتصادي القائم"⁽²⁾. فالتاريخ المغربي ظل مرتبطا ببنيته الاجتماعية الاقتصادية، السياسية والثقافية الخاصة به، والتي تهيمن فيها خصوصية العالم القروي، ذلك أن نسبة السكان الحضريين لم تكن تتجاوز في بداية القرن الماضي: "نسبة 9% من مجموع السكان"⁽³⁾. فكانت المراكز الحضرية قليلة وبكثافة سكانية ضعيفة جدا، فظلت البنية الاجتماعية تقليدية في تنظيمها القبلي، وكانت تعتمد اقتصاديا على النشاط الفلاحي الرعوي، إلى أن بدأت تتغير الأوضاع مع التدخل الاستعماري: "فالاحتكارات الأجنبية والدول الاستعمارية ظلت لمدة طويلة تبرص الفرص للتحكم في المغرب كبلد متميز جغرافيا وبشريا واستراتيجيا واقتصاديا. وقد كان هذا الاحتكاك المباشر بعد 1906 و 1912 كمؤشرين زمنيين لبداية مرحلة تاريخية ستكون لها آثارها العديدة على التطور الاجتماعي والاقتصادي بالمغرب. وسيتميز هذا التأثير

(2) عبد الرحمان المالكي، الثقافة والمجال دراسة في سوسيولوجيا التحضر والهجرة في المغرب، منشورات مختبر سوسيولوجيا التنمية الاجتماعية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الانسانية، ظهر المهرز فاس، 2015، ص. 77.

(3) R.Escalier, « La croissance urbaine au Maroc », Colloque organisé par le Centre de Recherches d'Etudes sur les Sociétés Méditerranéennes, Villes et Société au Maghreb, C.N.R.S, Paris, p.156.

بسلبيته وبصفة خاصة فيما يخص توازن البنيات الاجتماعية التي عرفت تحولات جذرية"⁽⁴⁾.

يرجع بروز ظاهرة الهجرة كما وضح ذلك عبد الله العروي استنادا إلى الدراسة التي قام بها (Erckmann 1885)، إلى "الأزمة المالية المتواصلة التي عرفها المغرب خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، والتي ترجع إلى الحروب والقروض المتعددة التي كان يجب على الخزينة تسديدها، إضافة إلى وثيرة الإنتاج الفلاحي التقليدي غير المنتظمة، والتي تزداد سوء مع ضرورة الامتثال للطلب المتزايد للمصدرين الأوربيين"⁽⁵⁾. الأمر الذي استمر فيما بعد، فمع استحواذ المعمر على عدد كبير من الأراضي الفلاحية، وإقامته لمجموعة من الضيعات الفلاحية، واستثماره في مجال الفلاحة الصناعية، تم إقحام الفلاح المغربي في نمط إنتاج رأسمالي، يلعب فيه دور اليد العاملة فقط، لاسيما وأنه لم يعد يتوفر على أرض فلاحية يستغلها، فبرزت ظاهرة الهجرة في المغرب بشكل فعلي، هذه الظاهرة التي ارتبطت بالهجرة القروية من القرية إلى المدينة.

1. طبيعة وشكل الهجرة القروية في المغرب في فترة الحماية

كانت أشكال الهجرة الداخلية التي عرفها المغرب قبل الحماية، خاضعة لمجموعة من القوى المحلية المرتبطة بالبنية المجتمعية القبلية التقليدية، فكانت تتم بوثيرة ضعيفة على المستوى الجماعي أو الفردي، فحافظ بذلك المجال القروي على نظامه القبلي، المؤسس لجميع العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية داخله، وحافظت المدينة المغربية على طابعها الأصيل، حيث: "كانت تعيش حياتها الخاصة داخل أسوارها، والتي كانت تنظمها وتنتظمها أساسا مبادئ التشريع الإسلامي"⁽⁶⁾، من خلال الحضور المادي والرمزي لثوابت الدين الإسلامي، داخل إطار من الانسجام والتوافق بين جميع مكوناتها، الأمر الذي عرف تغيرا مع التدخل الاستعماري في فترة الحماية، "فمع إقرار منطق

(4) بوشنفاتي بوزيان، في التحضر والثقافة الحضرية بالمغرب، دراسة في البناء الاجتماعي لمدن الصفيح، منشورات الحوار الأكاديمي والجامعي، الطبعة الأولى، 1988، ص ص. 35-36.

(5) Abdallah Laroui, *Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain (1830-1912)*, Centre Culturel Arabe, 3^{ème} Edition, , Casablanca, 2009, p.54.

(6) عبد الرحمن المالكي، مرجع سابق، ص. 70.

آخر، ومشروع لإعادة هيكلة المجال، استطاعت المدينة الأوربية الجديدة فرض سلطانها، وتهميش المدينة التاريخية، خصوصا في المراكز الحضرية الخاضعة للهيمنة والمراقبة الاستعمارية⁽⁷⁾. أي في المدن الخاضعة لسيطرة المعمار الفرنسي، فكانت المدينة الجديدة أكثر انفتاحا، ومجالا لتأسيس علاقات اقتصادية جديدة، ترتبط بالسوق العالمية، في حين عانت المدينة القديمة التاريخية من التهميش حيث تم تقويض وظائفها، وظلت تابعة للسياسة الاستعمارية الجديدة، بل: "إن هذه السياسة ستؤدي إلى إفراغ المدن التقليدية من نخبها الاقتصادية والعلمية، وستساهم تدريجيا ومن خلال مسلسل تفتير متواصل، في تحويل المدينة الأصلية من سكن منسجم تذب وتوارى فيه الفوارق الاجتماعية، إلى سكن للفقراء والمهاجرين القرويين الوافدين على المدينة"⁽⁸⁾. فتغيرت بذلك بنية المدينة وشكلها، وأصبحت المدينة التقليدية مكانا للفقراء، والتجار الصغار والمهاجرين القرويين، في حين غدت المدينة الجديدة، ذات المواصفات الأوربية، مكانا لاستيطان العديد من التجار الكبار والأعوان. فبدأت بذلك عملية التحضر تسير بوثرة سريعة شيئا فشيئا، فظهرت بالمدن مجموعة من الأحياء غير المنظمة، والتي كان يقطن بها العديد من المهاجرين الوافدين عليها من القرى، والراغبين في الحصول على عمل بالمعامل أو المصانع التي أسسها المستعمر، "فأمام هذه التحولات الجديدة التي ابتدأت مع الدخول الاستعماري إلى المغرب، والنزول بجميع قواه في الميدان، للسيطرة على المغرب اقتصاديا وسياسيا، فقد كانت أول نتيجة لهذا التدخل، هو خلق مجموعة من المعامل والخدمات، أي خلق مجموعة من الوظائف المأجورة، هذه الوظائف التي دفعت السلطات الحاكمة والمعمرين بصفة عامة، إلى البحث عن الأيدي العاملة التي ستكون البذرة الأولى للبروليتاريا المغربية"⁽⁹⁾. فارتبطت بذلك ظاهرة الهجرة

(7) Robert Escallier, "Urbanisation et développement au Maroc". Cahiers de la Méditerranée, n°41, 1, 1990. « États et pouvoirs en Méditerranée (XVIe-XXe siècles). Mélanges offerts à André Nouschi », Tome I. Université de Nice, 1990, p.164.

(8) عبد الرحمن المالكي، مرجع سابق، ص.73.

(9) بوشنفتي بوزيان، نفس المرجع السابق، ص.36.

القروية بالسياسة الاستعمارية في فترة الحماية، مما نتج عنه توسع للمجال الحضري.

2. ظروف الهجرة القروية بعد الاستقلال

ارتبطت الهجرة القروية في فترة الستينات والسبعينات من القرن الماضي، بعدم توفر المهاجر القروي على ملكية للأرض، هذا ما وضحه بوشنفاتي بوزيان، من خلال الدراسة التي قام بها (Daniel Noin 1972)، حول السكان القرويين بالمغرب، ذلك أن: "13% من الأسر تستحوذ على ثلثي الأراضي الزراعية، مما يعني أن طاقة إنتاجية هامة من السكان القرويين تظل عاطلة بل مهددة في وجودها"⁽¹⁰⁾. خصوصاً ساكنة المناطق الفلاحية الخصبة، إذ نجد أن: "الفلاحين الذين لا يملكون شيئاً يوجدون بصفة خاصة في المناطق الغنية أي في السهول... ويستنتج نوان Noin أن الأكيد، هو عدم كفاية الموارد بالنسبة للفلاحين الفقراء في مناطق السهول، وبالتالي فإن الفقر ليس ناتجاً عن كثافة سكانية مرتفعة بل ناتج عن التطور الاجتماعي"⁽¹¹⁾. بمعنى أن دوافع الهجرة ترجع إلى التحول الاجتماعي، الذي أصبحت تعرفه المناطق القروية بالمغرب، والذي يرجع في أساسه إلى عدم توفر القروي على أرض، يمكنه استغلالها، الأمر الذي يرجع في كثير من الأحيان إلى التغير الذي شهدته الملكية الزراعية، في فترة الحماية وبعد الاستقلال، حيث استحوذ الملاكون الكبار على جزء مهم من الأراضي الفلاحية. وهو نفس الأمر الذي أكدته Robert Escalier: "فتغير التوزيع المجالي للسكان، والتحول من المجال القروي إلى المجال الحضري، كان نتيجة لمجموعة من التغيرات السياسية، الاقتصادية والاجتماعية والتي فرضها الاستعمار، الاستقلال، قوى الإنتاج والحدثة"⁽¹²⁾، فأصبحت عملية الهجرة

(10) بوشنفاتي بوزيان، نفس المرجع السابق، ص.53.

(11) بوشنفاتي بوزيان، نفس المرجع السابق، ص.53.

(12) Robert Escallier, Urbanisation et développement au Maroc. In: Cahiers de la Méditerranée, n°41, 1, 1990. « États et pouvoirs en Méditerranée (XVIe-XXe siècles). Mélanges offerts à André Nouschi », Tome I. Université de Nice, p.163.

القروية خاضعة للأهداف الاقتصادية، وتسير وفق مخلفات الإرث الاستعماري، واستمرت وثيرة التحضر في الارتفاع، كما يوضح ذلك الجدول أسفله.

جدول 1. تطور عدد السكان الحضريين بالمغرب

السنوات	1960	1971	1982	1994	2004	2014
عدد السكان الحضريين	3389613	5401971	8730399	13414560	16463634	20432439
معدل التحضر	29.2	35.1	42.7	51.4	55.1	60.3

المصدر: الإحصاء العام للسكان والسكنى: 1960، 1971، 1982، 1994، 2004، 2014

3. ظاهرة الهجرة بضاحية مراكش

هاجرت مجموعة من الأسر إلى ضاحية مدينة مراكش في الفترة ما قبل الحماية، بهدف سياسي هو الدفاع عن المدينة المخزنية مراكش، وخدمة السلطان، وتم تكوين وتشكيل دواوير وإعمارها بسكان من قبائل مختلفة، كقبائل مسفيوة، زمران والمنابهة، وتعتبر دواوير لمحاميد، بوعكاز، السراغنة، من بين الدواوير التي تأسست في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، في عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان، ويمكن القول أن الهجرة إلى ضاحية المدينة في هذه الفترة الزمنية، كان مخططا لها من قبل المخزن، لإعمار المنطقة وخدمة مصالحه الخاصة.

مع بداية فرض الحماية الفرنسية، قام المعمر بالاستيلاء على عدد من الأراضي الفلاحية بمنطقة الحوز، فهاجرت الساكنة القروية بعدما سلبت أراضيها، نحو هوامش وضواحي المدينة مراكش، من أجل الاستقرار بها والعمل بالصناعة التقليدية والبناء، وكذلك العمل في الضيعات الفلاحية، فتشكلت مجموعة من الدواوير، التي اختارت الاستيطان بجانب عدد من الأضرحة، كدوار "سيدي امبارك" ودوار "سيدي الضو"...

في إطار رأسملة الفلاحة، قام المعمر بإنشاء ضيعات فلاحية، تحول الفلاح المغربي إثرها إلى عامل في الفلاحة، ومع ارتفاع وثيرة النمو الديمغرافي، ارتفعت نسبة البطالة، فاضطر السكان إلى الهجرة إلى المدن وضواحيها، وارتفعت وثيرة هذه الهجرة مع الاستقلال، حيث "تزايدت وثيرة الهجرة القروية نحو المدن مع الاستقلال، خاصة مع بداية هيكلة المدن وانتشار حرية التنقل، حيث اعتبرت

هذه الهجرة القروية نحو المدن، الحل لخلق التوازن داخل نظام اقتصادي غير قادر على التجاوز. وهذه الهجرة القروية هي التي ستمنح الحياة من جديد للنظام التقليدي القروي، كما أنها ستحمل إلى المدينة قيم هذا المجتمع، خاصة مع تجمع المهاجرين بأحياء الصفيح، والأحياء الهامشية للمدن الكبرى⁽¹³⁾.

بقيت بادية مراكش محتفظة بطابعها القروي لمدة طويلة، غير أنه مع ارتفاع النمو الديمغرافي داخل المدينة، حيث وصل إلى 1063415 سنة 2004 و1330468 سنة 2014، لم تعد قادرة على استيعاب المزيد من السكان، فحصل لها امتداد داخل الجماعات القروية المحيطة بها، وأنشئت مجموعة من الإقامات السكنية، في إطار برامج للإسكان، وارتفعت وثيرة البناء، ويمكننا أن نقول هنا أن الدواوير المحادية للمدار الحضري، قد أصبحت تعرف تحضرا، ذلك أن "التحضر كظاهرة اجتماعية، يختلف عن ظاهرة المدينة في المجتمعات التقليدية. إن المدينة في تلك المجتمعات كانت عبارة عن وحدة فيزيقية منغلقة على نفسها، وتحيطها أسوار تفصلها عن البادية. كما أن هذه المدينة كانت تنظم انطلاقا من مركز، تتجمع فيه مختلف السلط والأنشطة الاقتصادية، والذي تحيط به مجموعة من الأحياء المتكاملة، والتي لها حياتها الاجتماعية الخاصة. إن نمو المعارف وتطور وسائل النقل والاتصال الحديثة، ووسائل تبادل الأشخاص والأفكار، قد غيرا جذريا هذه الوضعية الأولى، كما غيرا الذهنيات الجماعية والفردية، وأنماط السلوك الاجتماعي، ووظائف المدينة والأحياء، وشكل وأنماط السكن"⁽¹⁴⁾. هكذا عرفت الدواوير المحادية للمدار الحضري بالضاحية تغيرات مهمة سارت في اتجاه التحضر.

4. ضاحية مدينة مراكش كمجال يستقطب العديد من المهاجرين

شكلت ضاحية مدينة مراكش مجالا لاستقطاب العديد من المهاجرين الوافدين إليها، سواء من داخل مدينة مراكش، التي تعرف ارتفاعا في نسبة النمو الديمغرافي بها، أو من القرى المجاورة لها، نظرا لما توفره هذه الضاحية من فرص للشغل، بحكم توفرها على عدد من الضيعات الفلاحية، وعدد من المعامل

(13) امحمد مهادن، السوسولوجيا القروية بالمغرب، مقاربات وقضايا، طباعة ونشر سوس، الطبعة الثانية، 2017، ص.135.

(14) عبد الرحمن المالكي، الثقافة والمجال، مرجع سابق، ص- ص. 29-30.

المهتمة بتصوير وتصدير المواد الغذائية، إضافة إلى توفيرها للسكن بالقرب من مدينة مراكش، حتى يتمكن عدد مهم من القاطنين بها من التنقل اليومي إلى المدينة، فبدأ عدد سكانها في الارتفاع شيئاً فشيئاً، الأمر الذي يتضح لنا جلياً، عند قيامنا بمقارنة عدد السكان، في الجماعات القروية الموجودة بضاحية مراكش، حسب المسافة التي تبعد عنها عن المدينة، وفيما يلي جدول يوضح عدد السكان ببعض الجماعات القروية المحيطة بمراكش، مع المسافة الفاصلة بينها وبين المدار الحضري.

جدول 2. تطور عدد سكان بعض الجماعات القروية المحيطة بمراكش حسب المسافة التي تفصلها عن المدينة

الجماعة	المسافة التي تفصلها عن مدينة مراكش ب كلم	عدد سكانها سنة 2004	عدد سكانها سنة 2014
تسلطانت	0	30137	71172
سعادة	0	39061	67086
الأوداية	25	26999	46382
أيت إيمور	38.6	12164	14544

المصدر: الإحصاء العام للسكان والسكنى 2004، والإحصاء العام للسكان والسكنى 2014

يتضح من خلال الجدول أعلاه، ارتفاع نسبة السكان خلال العشر سنوات الأخيرة، في الجماعات المحيطة بمدينة مراكش، وأن هذا الارتفاع يخضع لمنطق المسافة التي تبعد بها كل جماعة قروية عن المدينة، فكلما اقتربنا من المدار الحضري يرتفع عدد السكان، الأمر الذي وضحته إحصائيات سنة 2014، وزاد تأكيده وأصبح جلياً في الفترة الأخيرة، وهو ما يفسر أن ارتفاع عدد سكان ضاحية مدينة مراكش، لا يخضع لمنطق ارتفاع نسبة النمو الديمغرافي، وإنما لمنطق الهجرة إلى الضاحية، التي أصبحت تستقطب العديد من السكان.

1-4 تاريخ استقرار السكان بالمنطقة

إن الهدف من الاطلاع على تاريخ الاستقرار بالمنطقة، هو المقارنة بين عدد المستقرين الجدد والقدامى، من أجل الوقوف على نسبة المهاجرين إلى المنطقة،

والذين استقروا بها حديثا، وللوقوف على ذلك قمنا ببحث في جماعتين قرويتين تتصلان مباشرة بالمدار الحضري لمدينة مراكش، هما جماعتي سعادة وتسלטانت، واخترنا لذلك، ثلاثة دواوير بكل جماعة على حدة، مع الأخذ بعين الاعتبار، التفاوت في المسافة التي تفصل بين الدوار والمدار الحضري مراكش، وأجريننا 48 مقابلة نصف موجهة لفائدة الأسر، أي ما يعادل ثمان مقابلات داخل كل دوار، و240 استمارة، موزعة على شكل 40 استمارة لفائدة 40 أسرة داخل كل دوار، و وفيما يلي جدول يوضح توزيعا للأسر المدروسة حسب تاريخ السكن بالمنطقة.

جدول 3. تاريخ الاستقرار بالمنطقة

الجماعة القروية	اسم الدوار	المسافة الفاصلة بين الدوار والمدار الحضري		تاريخ السكن بالدوار			
		الفاصلة بين الدوار والمدار الحضري		قبل سنة 2000		ما بين 2000 و 2019	
		الفاصلة بين الدوار والمدار الحضري	المسافة الفاصلة بين الدوار والمدار الحضري	التكرار %	التكرار %	التكرار %	التكرار %
سعادة	أولاد الكرن	16 كلم	39	97.5	1	2.5	0
	أولاد أحمد	9 كلم	25	62.5	5	12.5	10
	الجامع	2 كلم	15	37.5	12	30	13
تسلطانت	أولاد علي بن يعيش	16 كلم	12	30	13	32.5	15
	مـولاي العباس	9 كلم	17	42.5	13	32.5	10
	الحركات	2 كلم	13	32.5	9	22.5	18
	لكواسم	27.5	66	22.08	53	50.41	121
المجموع							

المصدر: استمارة البحث الميداني (أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه-ماي 2023)*

يتضح من خلال الجدول أن 49.60% من الأسر التي شملتها الدراسة (تقنية الاستمارة- عينة 240 أسرة في الدواوير الستة، أي 40 أسرة داخل

* نقصد بالبحث الميداني، الدراسة الميدانية التي تمت في إطار بحث لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع، بجامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهرز، فاس، ماي، 2023. اعتمدنا في هذه الدراسة على أداة الاستمارة وعلى أداة المقابلة نصف الموجهة كذلك، (240 استمارة، موزعة على شكل 40 استمارة لفائدة 40 أسرة داخل كل دوار، و48 مقابلة نصف موجهة، موزعة على شكل 8 مقابلات لفائدة ثمان أسر داخل كل دوار على حدة).

كل دوار)، انتقلت للعيش بالمنطقة ابتداء من سنة 2000، وهي الفترة التي شهدت فيها الضاحية، تحولات في البنية العقارية اتجهت نحو تحويل نسبة مهمة من أراضي الجيش إلى ملك خاص، وأراضي الجيش في الأصل، "عبارة عن أراضي مخزنية ذات طبيعة فلاحية أو رعوية، غالبا اقتطعها بعض سلاطين الدولة العلوية لبعض القبائل، مقابل خدماتها العسكرية لهم"⁽¹⁵⁾. وكانت هذه القبائل تستغل هذه الأراضي وتنتفع بها، خصوصا في عهد المولى إسماعيل، حيث لعب الجيش دور قوة حربية مدافعة، ودور تنظيم اجتماعي، له حق التصرف في ملكية عقارية جماعية بصفة مؤقتة، قصد الانتفاع بها، مع عدم إمكانية تفويتها، وبالرغم من عدم توفر أية نصوص قانونية منظمة لأراضي الجيش، لأنها تعتبر في الأصل عقارا تابعا للأملاك الدولة، إلا أنها شهدت تحولا في بعض المناطق، كضاحية مراكش مثلا، فأصبح بعضها ملكا خاصا وبعضها الآخر ملكا جماعيا، مما سمح بالقيام بمشاريع سكنية، فشككت بذلك الدواوير المحادية للمدار الحضري، قوة جذب للمهاجرين، فأصبحت المنطقة تستقطب العديد من السكان الجدد.

2-4 المكان الجغرافي الذي انحدر منه المستوطنون الجدد بالمنطقة

استقر حديثا بالمنطقة عدد من المهاجرين الجدد من مناطق مختلفة يمكن تحديدها في أربعة هي: مدينة مراكش، دواوير أخرى داخل نفس الجماعتين القرويتين اللتان شملتهما الدراسة، دواوير أخرى خارج الجماعة، جهات أخرى، وفيما يلي جدول يعطي توزيعا للأماكن الجغرافية التي انحدر منها المستوطنون الجدد بالمنطقة.

(15) محمد الكشور، القسم القضائي في القانون المغربي، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، 1996،

جدول 4. الموطن الأصلي للمهاجرين إلى المنطقة ابتداء من سنة 2000

بجماعة سعادة

الموطن الأصلي للمهاجرين إلى المنطقة										الدوار
المجموع		جهات أخرى		دوار آخر خارج الجماعة وداخل الجهة		دوار آخر داخل نفس الجماعة القروية		مدينة مراكش		
%	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	
100	1	0	0	0	0	100	1	0	0	
أولاد الكرن اولاد أحمد										
100	15	13.3	2	20	3	46.7	7	20	3	الجامع
100	25	0	0	24	6	28	7	48	12	أولاد علي بن إعيش

المصدر: استمارة البحث الميداني (أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه-ماي 2023)

يتضح من خلال الجدول أن الدواوير التي تبعد عن المدار الحضري بحوالي 9 كلم، تستقطب المهاجرين إليها من دواوير أخرى داخل نفس الجماعة القروية، في حين أن الدواوير المحاذية للمدار الحضري تستقطب نسبة أكبر من المهاجرين من مدينة مراكش، الأمر الذي يؤكد تدخل عامل القرب المجالي في اختيار المهاجرين للسكن بالمنطقة.

جدول 5. الموطن الأصلي للمهاجرين إلى المنطقة ابتداء من سنة 2000

بجماعة تسلطانت

الموطن الأصلي للمهاجرين إلى المنطقة										الدواوير
المجموع		جهات أخرى		دوار آخر خارج الجماعة وداخل الجهة		دوار آخر داخل نفس الجماعة القروية		مدينة مراكش		
%	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	
100	28	7.14	2	25	7	39.3	11	28.6	8	مولاي العباس
100	23	13	3	8.7	2	21.74	5	56.52	13	الحركات
100	27	11.11	3	7.4	2	22.22	6	59.26	16	لكواسم

المصدر: استمارة البحث الميداني (أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه-ماي 2023)

يتضح من خلال الجدول أن 60% من المهاجرين إلى دوار لكواسم المحادي للمدار الحضري، ينحدرون من مدينة مراكش، وترتفع نسبة المهاجرين المنحدرين من المدينة أيضا بدوار الحركات الذي يبعد عن المدار الحضري بحوالي 9 كلم، وهو ما يؤكد أن الضاحية الغربية لمراكش تشكل منطقة جذب لسكان المدينة، بحكم إنشاء مجموعة من المشاريع السياحية بها إضافة لدوافع أخرى.

من خلال البحث الميداني الذي قمنا به، تجلت لنا واضحة ظاهرة الهجرة بالمنطقة، وقد قدم لنا السؤال عن مكان الإقامة سابقا(خلال العشرين سنة الأخيرة)، بالنسبة للسكان المقيمين حاليا بجماعة تسلطانت بضاحية مدينة مراكش، الكشف على أن نسبة 35% من السكان هي أصلية بالمنطقة، في حين أن نسبة 47.43% من المهاجرين إليها هم من مدينة مراكش، وتبلغ نسبة المهاجرين إليها من دواوير أخرى تابعة لنفس الجماعة القروية تسلطانت 28.2%، وتبلغ نسبة المهاجرين إليها من دواوير أخرى خارج الجماعة وداخل الجهة 14.10%، الأمر الذي يدل على أن دواوير ضاحية مدينة مراكش، أصبحت تشكل مجالا يستقطب كلا من السكان الحضريين والقرويين القريبين منه.

هذا وقد توصل البحث الذي قمنا به أيضا في جماعة سعادة، بضاحية مدينة مراكش، إلى أن نسبة 66% من السكان هي أصلية بالمنطقة، أي أنها كانت تقطن بها ما يزيد عن عشرين سنة، وأن نسبة 36.58% من مجموع السكان، هي وافدة على الجماعة من مدينة مراكش، ونفس النسبة من دواوير أخرى داخل نفس الجماعة، و22% من دواوير خارج الجماعة القروية وداخل الجهة، لتبقى نسبة 4.9%، هي نسبة المهاجرين الوافدين من مناطق أخرى خارج الجهة إلى المنطقة.

كانت هناك مجموعة من الدوافع والعوامل، التي دفعت بالعديد من السكان إلى اختيار الهجرة إلى الضاحية والاستقرار بها، وفيما يلي عوامل الهجرة إلى المنطقة، ودوافع الاستقرار بها.

5. عوامل الهجرة إلى المنطقة ودوافع الاستقرار بها

إن الحديث عن دوافع الهجرة يفضي إلى ضرورة الأخذ بعين الاعتبار، تعدد العوامل التي دفعت الأفراد لاختيار الانتقال إلى المنطقة والعيش بها. فهناك عوامل تتعلق بالخصوصية المجالية والاقتصادية للمنطقة، وعوامل أخرى تتعلق بالدوافع الفردية الذاتية للأفراد، والاستراتيجيات التي يعتمدونها للانتقال والعيش بمنطقة دون أخرى. ويمكن التمييز عموماً بين نوعين من دوافع أو محددات الهجرة من منطقة إلى أخرى في المغرب:

- "محددات جماعية: والتي تؤثر على المستوى الماكرو اجتماعي، والتي تدخل أساساً لتكييف درجات الطرد أو الجذب التي تخص كل جهة أو وحدة إدارية.

- محددات فردية: والتي تتجلى أكثر على المستوى الميكرو اجتماعي، والتي تتشكل أساساً من مختلف العوامل والدوافع الشخصية، التي تكون في الغالب وراء اتخاذ قرار الهجرة واختيار وجهتها"⁽¹⁶⁾.

من المحددات الجماعية التي أثرت في الهجرة في المنطقة، وجعلتها مركز جذب لعدد كبير من المهاجرين، هو قربها من مدينة مراكش، إضافة إلى عامل تغيير البنية العقارية، وانتشار الملك الخاص في عدد من الدواوير، والذي ساعد على الاستثمار في المجال السياحي، فارتفعت وثيرة البناء عن طريق الموافقة استثناء على إعمار ما يزيد عن 8000 هكتار في الجماعات القروية المحيطة بالمدار الحضري، وحدثت دينامية ديمغرافية في المدينة مراكش، سارت في اتجاه توزيع الساكنة على الجماعات القروية بها.

تختلف الدوافع والعوامل الشخصية للهجرة إلى المنطقة باختلاف الموطن الأصلي للمهاجر أولاً، فالمهاجرون الوافدون من المدينة، لهم دوافع تختلف عن المهاجرين الوافدين من الجماعات القروية الأخرى داخل الجهة.

⁽¹⁶⁾ Royaume du Maroc, Ministère de la population, Direction de la statistique (CERED) : L'exode rural : Traits d'évolution, profils et rapports avec les milieux d'origine, Imprimerie Maarif al jadida, Rabat, 1955, p. 123 In عبد الرحمن المالكي، الثقافة والمجال، دراسة في سوسيولوجيا التحضر والهجرة، مرجع سابق، ص. 99.

إن لكل مهاجر إلى المنطقة دوافعه الخاصة التي جعلته يختار الانتقال إليها من أجل العيش والاستقرار بها، غير أنه ومن خلال دراستنا للمقابلات نصف الموجهة، تبينت لنا إمكانية تصنيف عوامل الهجرة من جهة، مع إمكانية ربط هذه الأخيرة بالمجال الجغرافي الأصلي للشخص المهاجر، وأيضاً الموقع الجغرافي الذي يحتله الدوار داخل الجماعة القروية من جهة أخرى.

5-1 العوامل الاقتصادية/المجالية

يتدخل العامل الاقتصادي ويشكل سبباً أساسياً يدفع أرباب الأسر إلى الهجرة إلى المنطقة، خصوصاً مع تراجع العمل الفلاحي في الدواوير التي تتواجد داخل الجماعات القروية المدروسة، وكذلك خارج الجهة، هذا التراجع الناتج عن الجفاف الذي أصبحت تشهده المنطقة في السنوات العشر الأخيرة، بما فيها المناطق التي تتواجد داخل القطاع السقوي لحوض نفيس، والتي عرفت بدورها جفافاً نتيجة تراجع مستويات المياه في السدود المزودة.

توفر الضاحية كمجال، للسكان بالمنطقة، إمكانية العمل بقطاعات مختلفة: البناء، الصناعة التقليدية، الخدمات في القطاع السياحي... لذلك فهي تستقطب العديد من المهاجرين إليها، والذين يبحثون على عمل داخلها، وينحدر أغلب هؤلاء المهاجرين من دواوير أخرى، سواء كانت تابعة لنفس الجماعة القروية أو جماعات قروية أخرى داخل الجهة، وحتى خارجها، فقرب المنطقة من المدار الحضري، وتنوع الأنشطة الاقتصادية بها، جعلها مركز جذب لهذه الفئة من السكان.

***الهجرة إلى المنطقة من مناطق خارج الجهة لأنها توفر فرصاً للعمل**

"كنا كنسكنوا بمنطقة أكذبزأكورة، وتحولنا للعيش بهذا الدوار (دوار الحركات)، لأنه عندنا أقارب يعيشون ويشغلون هنا، كنا كنعانيوا من الجفاف بزاكورة، حتى مياه الشرب ما كنلقاوها، ونقص العمل بالفلاحة، وولوا الأولاد كالسين فالدار، جئنا إلى هنا، كرنا هذه الدار، وخدموا الأولاد هنا وهنا، مرة في البناء ومرة في السياحة".

ذكر، 70 سنة، من ساكنة دوار الحركات، انتقل وأسرته للعيش بالمنطقة سنة 2010.

أصبحت توفر المنطقة فرصا للعمل، وأصبح يتوافد عليها عدد من المهاجرين من مناطق أخرى خارج الجهة، خصوصا من المناطق التي تعرف مشاكل اقتصادية جراء الجفاف وقلة فرص الشغل، كما عبر عن ذلك المبحوث المهاجر إلى المنطقة من منطقة زاكورة.

*الهجرة إلى الدواوير المحادية للمدار الحضري من دواوير أخرى تبعد عنه بحوالي 16 كلم، لتراجع المردود الفلاحي
كنا كنسكنوا بدوار أولاد الكرن أولاد أحمد، والأرض مابقاتش كافية للعيش، ودوار أولاد علي بن يعيش قريب للمدينة مراكش، جننا هنا واشرينا مسكن قديم، صلحناه، وأنا كنخدم في البناء، والسكن هنا قريب من المدينة ومن دواوير أخرى كنخدم فيها حتى هي".
ذكر، 60 سنة، من ساكنة دوار أولاد علي بن يعيش، انتقل وأسرته للعيش بالدوار سنة 2009.

معظم السكان المهاجرين إلى المنطقة لظروف اقتصادية هم من الوسط القروي، حيث شكل الجفاف السبب الأساسي للمشاكل الاقتصادية، التي دفعت إلى مغادرتهم لسكنهم الأصلي، ذلك "أن البادية تطرد لأسباب متعددة، ولكن العامل الحاسم والذي يبدو "قدريا" هو ظاهرة الجفاف، التي أصبحت ظاهرة مناخية بنيوية بالمغرب منذ بداية السبعينات من القرن العشرين، هذه الظاهرة التي قلصت بل وأحيانا أنهت كل فرص العمل والاشتغال بالأرض"⁽¹⁷⁾. وهو ما أقر به المبحوث أعلاه، حيث لم تعد الأرض كافية للعيش، لذلك اختار الهجرة والاستقرار بالدواوير المحادية للمدار الحضري، والاشتغال بالمدينة والدواوير المجاورة.

(17) عبد الرحمن المالكي، الثقافة والمجال، دراسة في سوسيلوجيا التحضر والهجرة في المغرب، مرجع سابق، ص-ص. 167-168.

5-2 الهجرة إلى الضاحية من أجل الحصول على مسكن بملكية خاصة أو بئمن كراء مناسب

شكلت الظروف العامة للسكن عاملاً أساسياً ومحدداً للهجرة إلى ضاحية مدينة مراكش، خصوصاً بالنسبة للسكان الوافدين إليها من مدينة مراكش، فارتفاع أسعار المسكن الواحد بالمدينة، وارتفاع ثمن المتر مربع بها، دفع عدداً من السكان إلى مغادرتها بحثاً عن سكن قار بالضاحية، فأصبحنا "نلاحظ الطرد التدريجي لبعض فئات السكان نحو الهوامش، التي أصبحت بالموازاة، مجالاً مطلوباً بحدة للفلاحة وللسكنى وللخدمات"⁽¹⁸⁾. هذا وقد أكدت مجموعة من أقوال الباحثين هذا الأمر، إضافة إلى ارتفاع ثمن الكراء، مع تأكيدهم على ارتفاع أسعار الماء والكهرباء، لذلك قرروا الهجرة إلى ضاحية المدينة كحل لمشكل السكن، فاختار بعض المهاجرين شراء مسكن بالضاحية، نظراً لانخفاض الأسعار بها مقارنة بالمدينة، في حين اختار البعض الآخر كراء مسكن بئمن أقل مما هو عليه الأمر في المدينة.

*الهجرة إلى المنطقة لقربها من المدينة مراكش وإمكانية شراء مسكن بها بملكية خاصة وبئمن مناسب

"كنا كنسكنوا بحي المسيرة بالمدينة مراكش مع الوالدين، ومع وقعت مجموعة من المشاكل مع العائلة والإخوة، جينا إلى دوار أولاد علي بن يعيش، قلبنا على مسكن بئمن مناسب، لأن الدوار قريب من المدينة مراكش، ومن الخدمة دياي، فاشتريت هذا المنزل بالدوار، وأصلحته".

ذكر، 57 سنة. من ساكنة أولاد علي بن يعيش، انتقل وأسرته للعيش بالدوار سنة 2012.

لقد وفرت الضاحية للوافدين عليها من مدينة مراكش، مجالاً للسكن بأئمنة مناسبة، خصوصاً مع التغيرات التي عرفتها البنية العقارية، وإنشاء

(18) حسن المباركي، "المجال الفلاحي والتحويلات الوظيفية للعقار شبه الحضري بمراكش"، المجال الضاحوي لمدينة مراكش، دراسات مجالية رقم 2، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة أعمال مجموعات البحث، مراكش، 2008، ص.90.

مجموعة من التجزئات السكنية ذات الطابع الاجتماعي بها، وقد استغل عدد من المهاجرين إلى الضاحية إمكانية شراء بقعة أرضية- مخصصة كتعويض للسكان الأصليين بالمنطقة عن منازلهم التي تم هدمها في الدوار القديم قصد هيكليته مجاليا- بثمن يناسب الكثير منهم، فعملوا على بنائها والسكن بها، ومكنهم ذلك من الحصول على مسكن مستقل بثمن أقل مما هو عليه في الوسط الحضري مراكش، وشكلت بذلك الدواوير المحاذية للمدار الحضري قوة جذب للهجرة إليها.

*الهجرة إلى المنطقة واستغلال السكن الاجتماعي المستحدث بها والاستفادة منه

"كنا كنسكنوا بمدينة مراكش، في منزل مكتري، ومع توزيع عدد من البقع الأرضية كتعويض للسكان الأصليين بدوار لكواسم، ما قدروش بعض المستفيدين ببناء البقعة الأرضية للي تعطاتهم، وسمعنا بأنهم بدوا في عملية البيع بعقد تنازل، وغامرت واشريت بقعة سنة 2011، وبنيت الطابق الأرضي فقط، وجيت للعيش هنا سنة 2013، وكلما توفرت لي شوية الفلوس، كنبنني شوي بشوي إلى يومنا هذا".

ذكر، 56 سنة، من ساكنة دوار لكواسم، انتقل وأسرته للعيش بالدوار سنة 2013.

عمد مجموعة من السكان الأصليين بالمنطقة، إلى بيع البقعة الأرضية الممنوحة إليهم في إطار السكن الاجتماعي، لأنهم غير قادرين ماديا على بنائها للسكن بها، وهو ما شجع عددا من السكان بمدينة مراكش أو بالدواوير المجاورة، على استغلال ظروف السكان الأصليين وعوزهم المادي، وشراء بقعة أرضية، وإن كانت ضمن السكن الاجتماعي غير القابل للتفويت، وذلك عن طريق تنازلات وعقود عدلية، وهو ما زاد من وثيرة الهجرة إلى المنطقة.

*الهجرة إلى المنطقة لانخفاض ثمن الكراء بها، وكذلك إمكانية الحصول على مسكن

"كنت كنسكن مع الوالدين بحي سيدي يوسف بن علي بمراكش، وكنت كنعيش مشاكل أسرية نظرا للسكن مجتمعين، وقررت السكن بوحدي، ومع الغلاء ديال الكراء بالمدينة مراكش، قلبت على الكراء بدوار الحركات، وجيت للعيش هنا سنة 2012، بعد ذلك شريت دار بطابق أرضي فقط فالدوار، ومن ديك الساعة وأنا كنصلحها بشوية بشوية".

ذكر، 63 سنة، من ساكنة دوار الحركات، انتقل وأسرته للسكن بالدوار سنة 2012.

وفرت الضاحية للمبحوث إمكانية الكراء بثمن منخفض ومن تم الاستقرار بالمنطقة وتجنب مشاكل السكن المشترك، ووفرت له أيضا إمكانية شراء مسكن مستقل.

5-3 الهجرة إلى الضاحية لتوفرها كمجال على المرافق الاجتماعية أو لقربها من هذه الأخيرة

هاجرت مجموعة من الأسر إلى الضاحية بغية العيش بالقرب من مجموعة من المرافق الاجتماعية كالمدارس التعليمية والمستوصف الصحي، إضافة إلى المرافق الأخرى المتواجدة بالمدينة مراكش، كالمؤسسات الجامعية والمستشفيات الكبرى، ودور الشباب، والأندية الرياضية وغيرها من المرافق الاجتماعية الأخرى.

*الهجرة من جماعات قروية خارج إقليم مراكش إلى الضاحية
"كنا كنسكنوا بمنطقة أوريكا، وكنا كنعانوا ماكيناش مدرسة ثانوية، والمدرسة الإعدادية بعيدة، وسمعنا بأن الأرض بدوار الحركات ولات ملك خاص، وشرينا بقعة أرضية صغيرة هنا وبيناها، وجينا للسكن هنا باش يقرأو الدراري".

ذكر، 61 سنة، من ساكنة دوار الحركات، انتقل وأسرته للسكن بالمنطقة سنة 2013.

يتضح من قول المبحوث أنه اختار الهجرة إلى المنطقة والاستقرار بها، طلبا لمرفق المؤسسة التعليمية في المرحلة الإعدادية والثانوية، وما زاد من تشجيعه على اختيار المنطقة هو إمكانية شرائه لبقعة أرضية بملكية خاصة، قام ببنائها والسكن بها.

خاتمة

كان للتغيرات التي عرفتها البنية العقارية بضاحية مدينة مراكش في العشرين سنة الأخيرة، أثر كبير في المنطقة، فما إن تحولت أراضي الجيش من صيغتها العقارية غير القابلة للتفويت، إلى ملك خاص، حتى تم استغلال الأرض لتوفير السكن، وهو ما دفع بالعديد من السكان في مدينة مراكش، وفي الدواوير المجاورة، وحتى من مناطق أكثر بعدا، إلى الهجرة إلى المنطقة. هذا وقد تعددت عوامل الهجرة إلى ضاحية مراكش، ويمكن أن نجمل هذه العوامل في: الظروف الاقتصادية والمجالية، فالمنطقة أصبحت توفر فرصا للعمل نتيجة تنوع الأنشطة المهنية بها، وهناك أيضا عامل إمكانية توفير الضاحية لمسكن بملكية خاصة، أو بثمن كراء مناسب، وكذلك توفرها على عدد من المرافق الاجتماعية أو قربها منها.

إن الحراك المجالي في المغرب لم يعد يرتبط فقط بالهجرة من القرية إلى المدينة، وما ينتج عن ذلك من ارتفاع لوثيرة التحضر، بل أصبحت البوادي المحيطة بالمدن الكبرى، تشكل مجالا يستقطب إليه العديد من المهاجرين، وما أكد لنا هذا الأمر هو تاريخ استقرار السكان بالمنطقة، والذي ارتفعت وثيرته في العشرين سنة الأخيرة، والمكان الجغرافي الذي انحدر منه هؤلاء المستوطنون الجدد، والذي يشمل المدينة أيضا.

إن ظروف الهجرة إلى المنطقة شملت مجموعة من المحددات الجماعية، على المستوى الماكرو سوسيولوجي والتي تتعلق بتغير البنية العقارية، وانتشار الملك الخاص، والاستثمار في مجال السكن. وشملت كذلك مجموعة من

المحددات والعوامل الذاتية للهجرة إلى المنطقة، والتي تتعلق بالدوافع الخاصة، التي جعلت المهاجر يختار الانتقال إلى الضاحية من أجل العيش والاستقرار بها.

بيبلوغرافيا

الكشور محمد ، القسم القضائي في القانون المغربي، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، 1996.

المالكي عبد الرحمان ، الثقافة والمجال دراسة في سوسيولوجيا التحضر والهجرة في المغرب، منشورات مختبر سوسيولوجيا التنمية الاجتماعية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهرارز فاس، 2015.

المباركي حسن ، "المجال الفلاحي والتحولات الوظيفية للعقار شبه الحضري بمراكش"، المجال الضاحوي لمدينة مراكش، دراسات مجالية رقم 2، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة أعمال مجموعات البحث، مراكش، 2008.

بوزيان بوشنفاتي ، في التحضر والثقافة الحضرية بالمغرب، دراسة في البناء الاجتماعي لمدينة الصفيح، منشورات الحوار الأكاديمي والجامعي، الطبعة الأولى، 1988.

مهدان امحمد ، السوسيولوجيا القروية بالمغرب، مقاربات وقضايا، طباعة ونشر سوس، الطبعة الثانية، 2017.

Escalier Robert, « La croissance urbaine au Maroc », Colloque organisé par le Centre de Recherches d'Etudes sur les Sociétés Méditerranéennes, Villes et Société au Maghreb, C.N.R.S, Paris.

Escallier Robert, "Urbanisation et développement au Maroc". Cahiers de la Méditerranée, n°41, 1, 1990. « États et pouvoirs en Méditerranée (XVIe-XXe siècles). Mélanges offerts à André Nouschi », Tome I. Université de Nice, 1990.

Laroui Abdallah, Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain (1830-1912), Centre Culturel Arabe, 3^{ème} Edition, , Casablanca, 2009.